الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي و البحث العلمي
Université Abou Bekr Belkaid
Tlemcen Algérie
جامعة أبي بكر بلقايد
تلمسان الجزائر

قسم أدب عربي
شعبة : أدب عربي

مذكرة تخرج لنيل شهادة ليسانس (LMD)

التجربة الشعرية
عند أبي قاسم الشابي

إعداد الطالبة:
غراس إيمان

تحت إشراف:
الأستاذة : بلهبري أسماء

السنة الجامعية : 2014/2013 م
1435/ 1434 هـ

دعاء

لا تدعني أصاب بالغرور إذا نجحت و لا
أصاب باليأس إذا فشلت،
بل ذكرني دائما بأنّ الفشل هو التجارب
التي تسبق النّجاح
يارب
علمني أنّ التسامح هو أكبر مراتب القوة
و أن جد الإنتقام هو أوّل مظاهر الضعف
يارب
إذا نسيتك فلا تنساني
يارب
أكرمني بنور العلم

كلمة شكر

بسم الله الرحمن الرحيم و الصّلاة على أشرف المرسلين

أمّا بعد:

أوّلا: أشكر ربي الّذي علّم الإنسان ما لم يعلم و الّذي بتوفيق منه أنجزنا هذا العمل المتواضع.

ثانيا: نشكر الوالدين الّذين هما سبيل تنويرنا و تثقيفنا كما يطيب لي التقدم بأخلص التّشكرات و الامتنان إلى أستاذتي و مشرفتي الأستاذة " بلهبري أسماء " التي مدتنا من منابع علمها بالكثير و التي ما توانت يوما عن مدّ المساعدة لنا و حمدا لله بأنه يسرها في دربنا

و يسرها به أمرنا وعسى أن يطيل الله عمرها لتبقى تبراسا مثلا لنا في نور العلم والعلماء.

كما أتفضل بالشكر والاحترام الخالص إلى كل أساتذة كلية اللغة والأدب العربي الذين رافقونا طوال مشوار الدراسة و لا أنس بالشكر كل من ساعدني من قريب أو من بعيد في إنجاز هذا البحث.

كما أعيد شكري إلى الله سبحانه
الذي جعل لي الصبر جوادا لا يكبو
و صارما لا ينبو، وحبا لا يهزم
و حصنا حصينا لا يهدم و لا يلثم

إهـداء

الحمد لله و كفى و الصّلاة و السّلام على النبي المصطفى

"و قل ربّي ارحمهما كما ربياني صغيرا"

أهدي ثمرة جهدي و عملي هذا:

إلى من عكفت على تربيتي منذ الصغر إلى العزيزة الغالية إليك أكتب وعنك أقول، يا من وهبت لي قلبك، أنت يا من عبدّت لي دروب الحياة بالحب و الحنان عنك أقول أنك صاحبة طيف كان أنيس جروحي، إلى من زرعت نفسي الثقة إلى أغلى ما أملك في هذه الحياة أمّي الحنونة الغالية "كريمة".

إلى زوجي العزيز الغالي "سفيان" الّذي كان عونا لي و وقف بجانبي إلى آخر لحظة، له الحب و الوفاء و التقدير و الاحترام.

إلى أخي العزيز و الغالي الّذي شاركني حلو الحياة و مرّها "عبد المجيد" وإلى زوجته "خديجة" التي أكّن لها الاحترام و التقدير و أبنائهم "أحمد"، "إبراهيم".

إلى أعز حبيباتي و أغلى الصديقات في رحاب الجامعة:

"ليو سكينة"، "جعادة اسمهان"، "مغراوي أسماء".

خطـــــة البحـــــث

أ- المقدمة

ب- المدخل

الفصل الأول: التجربة الشعرية

المطلب الأول: مفهوم التجربة الشعرية

المطلب الثاني: التجربة الشعرية عند الشّابي

المطلب الثالث: مفهوم الشعر عند الشّابي

المطلب الرابع: موقفه من التراث القديم و دعوته للتجديد

االفصل الثاني: العوامل الأساسية في تكوين تجربة الشّابي الشعرية

المطلب الأول: تأثير مدرسة المهجر في أدب الشابي

المطلب الثاني: تأثره بمدرسة الدّيوان

المطلب الثالث: قراءته للأدب الغربي من خلال الترجمات

الفصل الثالث: موضوعات التجربة الشعرية عند الشّابي

المطلب الأول: الوطن

المطلب الثاني: الطبيعة

المطلب الثالث: الحب و المرأة

المطلب الرابع: الشكوى و الألم

خـــــاتمـــــة

مـــــقـــدمـــــــة

بسم الله الرحمن الرحيم

و الصّلاة و السلام على أشرف المرسلين أمّا بعد:

تمضي الأيام و تنطوي الأحلام تاركة وراءها ذكرى شاعر سطع نوره و لمع ضوءه في سماء الأدب العربي و حضارته فقد عدّ الشّابي من أبرز الشعراء و الأدباء في العصر الحديث و يكفي أنه استطاع توجيه النشاط التونسي و الانتقال به من مسار التقليد إلى مسار التجديد بإبداعاته الأدبية الفنية في فترة و جيزة حيث علا صيته في كل الأقطار العربية.

فاعتبر الجسر الرابط بين المشرق و المغرب العربي و هذا بعد اطلاعـــه الواسع على الحركـــات الإبداعية لاسيمـــا المهجرية، فهو يمثل نهضـــة فكرية من خلال منهـــج جديد، ولذلك نحاول في هذا البحث المتواضع إبراز أهم الجوانب الفكرية التي كونت ملكته الشعرية، و تباين مدى فهمه لرسالة الشعر السامية.

و من هنا لم يكن اختيارنا لهذا الموضوع من قبل الصدفة بل هو شدة إعجابنا بالروائع الشعرية لهذا الشاعر العبقري و صحة فهمه لرسالة الشعر.

فما أقل الأصوات التي تنطلق من الأعماق، كما ينطلق صوته الخافت الهامس قصائد الحب و العاصف الثائر في القصائد الوطنية.

فبالإضافة إلى الاستعمار الغاشم كانت هناك آثار رجعية تثير في الشعب التونسي روح العصبية الدينية المزيفة فظل يقاوم الاستعمار طالبا الحرية و الانعتاق.

و كأي باحث مبتدئ واجهتنا بعض الصعوبات في جمع المادة من مصادر و مراجع لإثراء بحثنا، و ذلك لقلتها و كثرة الطلب عليها، و مع ذلك بدلنا كل ما في وسعنا للانتقاء اللازم لإنجاز هذا البحث متبعين منهجا تحليليا، و ذلك لتمكن من توسيع و تحليل و تبسيط ضيق الأفكار بمعلومات كبيرة.

فقد اعتمدنا في بحثنا على ثلاثة فصول، بعد مقدمة موجزة للموضوع كان التمهيد الذي تناولنا فيه حياة الشّابي بإيجاز و آثاره الأدبية.

ثم و ضعنا الفصل الأوّل الذي تطرقنا فيه بمفهوم التجربة الشعرية عند شاعرنا، وكذا موقفه من التراث القديم و دعوته للتجديد.

أمّا الفصل الثاني فتم فيه ذكر أهم العوامل الأساسية التي كونت تجربة الشّابي الشعرية، و كان في مقدمة هذه العوامل: تأثره بأدباء المهجر و مدرسة الدّيوان و كذلك قراءاته للأدب الغربي من خلال الترجمات.

أمّا الفصل الثالث: أضفينا عليه أهم موضوعات التجربة الشعرية في مقدمتها الوطن ثم تليناها بالطبيعة ثم الحب و المرأة و أخيرا الشكوى و الألم.

و ختمنا بحثنا بخاتمة جاءت حصرا لأهم النقاط المنتقاة من البحث معتمدين على جملة من المصادر و المراجع و الدوريات.

و أخيرا نأمل أن نكون وفقنا في الإلمام ببعض جوانب الموضوع، و نكون وصلنا إلى ما قصدنا إليه و أن نحقق الغاية المرجوة منه، و لكن يبقى مجال البحث مفتوحا لمن يريد أن يتوسع في أعمال الشّابي الفنية.

الأدب مرآة حياة الأمّة و الشعر رصيد الأحداث التي يعيشها الشاعر و المشكلات التي يعانيها المجتمع فهو انعكاس لثقافة المجتمع و مقوماته.

أبو القاسم الشابي من أبناء القرن العشرين الّذين نشؤوا بين الحربين العالميتين الأولى و الثانية.

فلم يكن ومضة في حياة الشعر العربي و إنّما كان بحياته القصيرة الطويلة نقطة تحوّل هامة في الشعر العربي يجب احترامه.

أ- مـــــولـــــده:

ولد أبو "القاسم الشّابي" بن محمد بن أبي القاسم بن إبراهيم الشّابي يوم الأربعاء 24 مارس 1909 في قرية الثابية إحدى ضواحي مدينة توزر كبرى بلاد الجريد بالجنوب التونسي و هي بلاد جميلة فاتنة[1].

هو سليل أسرة "مرموقة" عرفت مدى أجيال بالعلم و الفضل، لم ينشأ "الشّابي" بمسقط رأسه فقد رحل به أبوه و هو في السنة الأولى من عمره، حيث كان والده كثير الترحال في المدن التونسية بحكم عمله كقاضي، و كان لهذا الطواف الّذي استمر عشرين سنة أثره على حياة الشّابي و نفسيته فقد حرمه من الاستقرار في مدرسة واحدة، و كذلك عرّضه لجميع المناخ في تونس فمن حرّ مدينة قابس الساحلية برد جبال "تالما" المرتفعة.

بدأ والده بتعليمه في البيت أوّلا، و لّما بلغ الطفل من الخامسة أرسله إلى الكتاب "بلده قابس"، و في عام 1920 أرسله أبوه إلى جامع الزيتونة في تونس التي لم يكن راضيا على تعليمها، و لا كان شيوخها راضين على آرائه و شدوده فقد كان قليل الميل

[1] أبو القاسم محمد كرو، حياته و شعره، منشورات دار مكتبة الحياة بيروت، لبنان، ط3، 1960، ص 37.

إلى الدروس التي تلقى في الزيتونة من الأدب القديم و فقه الشريعة، "فمن أجواء بلاد الجريد إلى فضاء المدينة ... أقام سبع سنوات يدرس و يطالع حتى استطاع أن يكوّن لنفسه ثقافة عربية جمعت بين التراث القديم و الأدب الحديث"[1].

و لجهل الشّابي باللغات الأجنبية فقد قرأ أهم ما ترجم "إنّ الشّابي لم يتعلم لغة أجنبية يستطيع من خلالها الإطلاع على الآداب الغربية و الفكر العربي بل كانت ثقافته عربية صرفا"[2].

و استطاع أن يطلع من خلال الترجمات على جوانب من الترجمة الشعرية الغربية مثل أشعار الرومنتيكيين لامرتين و بيرون ...إلخ.

و كذلك عن طريق الكتّاب و الأدباء العرب في مصر و المهجر

لكن تجري الرياح بما لا تشتهي السفن، ففي هذه الفترة الهامة من حياته توفي والده تاركا فراغا موحشا في نفس الشّابي "فقد ألقيت عليه أعباء عائلته كبيرة خصوصا أنّه رفض العمل في مناصب حكومية لأنّه يرى أنّها تتعارض مع حرية الشاعر"[3].

ب- بيـــئتـــه:

ترعـــرع الشّـــابي في بيئة تحيط بها سجوف العمايـــة و الضـــلال من كلّ جانب، والدارس لحياته يرى أن البيئة لعبت دورا هامّا في حياته الأدبية، و خاصة تلك المعاناة التي كان يعانيها الشعب التونسي من جراء الاستعمار الغاشم، فكان ينظر إلى مجتمعه على أنّه مريض في جسده و روحه مستسلما لأوضاعه الفاسدة، "فإذا كانت هذه

[1]ديوان أبو القاسم، أغاني الحياة، دار بيروت، لبنان، ص 09.
[2]ديوان أبو القاسم الشابي، دار العودة، بيروت، 1972، ص 09.
[3]رينا عوض، أعلام الشعر العربي الحديث ص 16.

هي البيئة، وهذا هو المجتمع الّذي عايشه الشّابي فأي شيء يمكن أن تفيض به نفس هذا الفتى الثائر الطموح؟"[1].

فثار شاعرنا على العبودية المسلطة على شعبه، حيث قام يتحرك بقوة ملبّيا نداء الوطن.

"فقد وجد في بيئة مدينة تونس عوامل دفع لقدراته الخبيئة و إنضاج لرؤتيه سواقع الحياة و للكون من حوله، و إثراء و تعميق لتجربته"[2].

ج- مرضـــه و وفـــاتـــه:

أكبر مأساة عاشها "الشابي" كانت مأساة مرضه بداء تضخم القلب بعد اليأس والألم الحاد و أتعاب المسؤولية فبموت والده انهار كلّ شيء فأصبح مسؤولا عن كلّ ما خلفه والده، فملّ و جوده و بدأ يناشد الموت ليرتاح من الألم الّذي لا ينقطع، فلم يقضي إلى غير الموت المحتوم فنقل إلى المستشفى الإيطالي بالعاصمة لكن الطب عجز عن مقاومة دائه فانصفأت تلك الشمعة المشعلة و صعدت روحه إلى الجمال المطلق و دنيا الخلود وذلك فجر يوم الثلاثاء التاسع من أكتوبر 1934 و نقل جثمانه إلى مسقط رأس الشّابي و لم يكن عند موته قد بلغ السادس و العشرين عاما.

د- آثـــــاره:رغم العمـــر القصير الّذي عاشـــه "أبو القاسم الشابي"، فقد تسنى له بجهده العلمي، وقوة إرادته، وحدة ذكائه و رغبته في التحصيل منذ نعومة أظافره أن يثري المكتبة العربية بما خلفه من مؤلفات أدبية، و تتمثل هذه الآثار في:

[1]أبو القاسم محمد كرو: الشابي حياته و شعره ص 81.

[2]ديوان أبي القاسم الشابي ص 09.

أ- أغـــانـــي الحيـــاة:

و هو ديوان يضم جميع أشعاره طبع لأول مرّة في القاهرة سنة 1955 ثم بتونس سنة 1966، و طبعة أخرى بتونس سنة 1970و طبع بيروت سنة 1972.

ب- الخيـــال الشعـــري عنـــد العـــرب:

هو عبارة عن محاضرات ألقاها الشاعر و طبعها بتونس 1920 ثم أعيد طبعها سنة 1961 و تضم آراؤه عن الخيال في الشعر العربي.

ج- مـــذكـــرات الشـــّابي:

و هي مجموعة من المذكرات اليومية التي سجل فيها الشاعر آراؤه و خواطره في شؤون الحياة المختلفة[1] كتبها لمدّة شهر و نصف سنة 1930 و نشرت بتونس سنة 1966.

د- رســـائـــل الشّـــابي:

هي عبارة عن مجموعة كبيرة من الرسائل الأدبية الكبيرة القيمة، تبادلها الشّاعر مع أدباء من مصر و تونس و سوريا[2] طبعت في تونس سنة 1960[3].

و للشّابي مجموعة كبيرة من الدراسات و المقلات المختلفة التي تناول فيها شؤون الأدب العربي قديمه و حديثه على السواء.

---

[1]أبو القاسم محمد كرو: الشابي حياته و شعره، ص 135.

[2]المرجع نفسه، ص 134.

[3]د. عبد المجيد حر "كوكب السحر دار الكتب العلمية بيروت"، ص 77.

المبحث الأول: التجربة الشعرية

المطلب الأوّل: مفهوم التجربة الشعرية

في بداية الحديث عن التجربة الشعرية نورد تعريفا "لبعد اللّطيف السّحرتي" حيث يقول: "هي الحالة التي تلابس الشاعر و توجه باصرته أو ذهنه أو بصيرته إلى موضوع من الموضوعات أو واقعة من واقعات الدّنيا، أو مرآة من مرائي الوجود و تؤثر فيه تأثيرا قويّا تدفعه في وعي، أو غير وعي إلى الإعراب كما يرى أو يشاهد أو يتأمل"[1].

و من هنا يبدو " للسّحرتي " عناية خاصة بخضوع التجربة الشعرية، و هو يرى أن أوّل مقياس لمعرفة درجة القصيدة، وهو التعرف على التجربة الفنية في العمل الشعري.

و يعرف محمد هلال غنيمي التجربة الشعرية بقوله: "هي تلك الصور الكامنة النفسية، أو الكونية التي يصورها الشاعر حين يفكر في أمر من الأمور تفكيرا ينم من عميق شعوره و إحساسه، من أجل تغذية شاعريته بجميع الأفكار النبيلة، و التعبير عن دواعي الإيثار التي تنبعث عن الدوافع المقدسة و أصول المروءة النيلة[2].

و نرى غنيمي هلال يقصد بالتجربــة "الصــورة الكاملة النفسيــة أو الكونية التي يصورها الشاعر حين يفكر في أمر من الأمور تفكيرا ينم عن عمــيق شعوره وإحساسه، وفيه يرجع الشاعر إلى إقتناع ذاتي و إخلاص فنّي، لا إلى مجرد مهارته في صياغة القول ليبعث بالحقائق أو يجاري شعور الآخرين لينال رضاهم، بل أنّه ليغذي شاعريته بجميع الأفكار النبيلة، و تشف عن جمال الطبيعة و النّفس.

---

[1] محمد سعيد قشوان "مدرسة أبولو الشعرية في ضوء النقد الحديث، دار المعارف، محمد، د.ط، ص 199.

[2] محمد غنيمي هلال "النقد الأدبي الحديث دار العودة بيروت ط1، ص 383.

و لابدّ للتجربة الشعرية من عناصر[1] حتى يتمكن من تحليل نفسه و تحليل مشاعرها التي تحيا في أعماقه، و ذلك أنّ عالم النفس و مشاعرها محيط لا حدود له، و لا يزال الشعراء يغرفون من هذا المحيط، كل حسب ما هيئ له من قدرة وكم من شاعر يظن أنه يغرف منه و هو لا يغرف شيئا، و هؤلاء لا يأتوننا بالجديد، أمّا الشعراء الممتازون فإنّهم يأتون بالجديد المبتكر المتدفق من تجاربهم الخاصة و الشاعر في هذه الحالة لا يحتاج إلى موضوع عظيم حتى يثير نفسه بالإحساسات، فليس المدار على الموضوع إنّما المدار على الشاعر الّذي يستطيع أن يستنبط من الموضوع الصغير مجالا للتعبير عن تجاربه.

و ليست كل عناصر التجربة الفنية أحاسيـــسا و نفسا، ففيها أيضا العقل والفكر[2]، و هو من أهم عناصره، إذ هو الذي يشرف على الأحاسيس و ينظمها، و لولاه لكانت الأحاسيس خليطا مضطربا لا تسوده وحدة و لا يسوده نظام، و لا ينبغي لشاعر أن يخضع للقوى العقلية وحدها حتى لا تفقـــد قصيدته الأساس الذي ينبغي أن تقوم عليه، أساس العاطفة و المشاعر الوجدانية لأنّه ليس بصدد عمل عقلي، و إنّما هو بصدد عمل نفسي لغته الشعر أمّا العقل الخالص فلغته النثر، وهي لغة تتميز بالمنطق و الوضوح الخالص، لأنّها تعالج معارفنا المحدودة. بخلاف لغة الشعر فإنّها تعالج مشكلة غاية في التعقيد تتصل اتصالا وثيقا بالكون و الحياة النفسية[3].

و هناك عنصر لا يقل أهمية عن العناصر السابقة أثرا و تأثيرا و هو الموسيقى، إذ أنّ الناس لا يتكلمون في أحاديثهم اليومية كلامـــا موسيقيا منغّما، و إنّما يضع ذلك الشعراء، فهم ينغّمون كلامهم و يغنونه الناس فيطربون و يمرحون كالأطفال، و الملاحظ

[1] المرجع السابق، ص 148.
[2] محمد غنيمي هلال "النقد الأدبي الحديث"، ص 148.
[3] المرجع نفسه ص 150.

أن الشعراء لا يستخدمون الموسيقى لغرض الطرب فحسب، بل لإجتناب النقص في تعبيرهم، إذ أن الشعر يؤثّر في نفوسنا تأثيرا قوّيا، و هذا التأثير لا يرد إلى إدراكنا لنغمات خارجية تؤثر في أجسامنا تأثيرا ماديا، و إنّما يرد إلى أن نفوســـا هي التي يحدث فيها التنغيم، فكل نغمة في تجربة فنية تؤثر في إدراكنا و ترتفـــع معها نفحات عاطفية في قلوبنا، و آية ذلك أننا نتأثر بالشعر حين نقرؤه صامتين كما نتأثر به حين نقرؤه منشدين.

و مهما يكن فإنّ الموسيقـــى عنـــصر أساسي في القصيدة أو في التجـــربة الشعرية، وبالتحامها مع العناصر السالفة الذكر – المشاعر النفسية، التأملات العقليـــة والخيـــال – تنمو القصيدة نموا عفويا دقيقا لتكتمل التجربة الشعرية[1].

المطلب الثاني: التجربة الشعرية عند أبي القاسم الشّابي

لقد و جد "الشّابي" في بيئته و مجتمعه عوامل دفع لقدراته الخبيئة، و إنضاج لرؤيته لواقع الحياة، و للكون من حوله، و إثراء و تعميق لتجربته الشعورية و لقد ساعدته هذه العوامل على تحديد موقفه من القضايا و الأوضاع السياسية و الاجتماعية، و الفكرية التي كان الواقع يرفضها، و قد تجسد هذا كلّه في أعماله الشعرية و كتاباته النثرية على حدّ سواء[2].

و يمكن القول أنّه كان بالنسبة للبيئة التونسية صوتا يوشك أن يكون منفردا بين مثقفي زمانه، و بين معاصريه من الشعراء التونسيين.

اضافة إلى أنّه قد قرأ الشّابي ما كتبته "مدرسة الدّيوان" و بخاصة ما كتبه "العقاد" عن مفهوم الشعر و طبيعة العمل الشعري و وظيفته، و كما كان "جبران" شعره أقرب

[1] محمد غنيمي هلال "النقد الأدبي الحديث"، ص 150.

[2] ديوان الشّابي، تحقيق عز الدّين إسماعيل، دار العودة، بيروت سنة 1972، ص 09.

النّاس إلى قلبه، و من بين الروافد التي كوّنت ثقافـــة الشّابي بحصيلة طيّبة من الأدب الغربي، و صداقته للناقد التونسي "محمد الحليوي"، فقد كان ناقدا واسع الإطلاع في النقد والأدب العربيين، إضافة إلى ملكته النقدية المرهفة و بصيرته الموضوعية، و من كل هذا نستطيع القول بأن الشّابي قد تثقف ثقافة عربية واسعة و لكنّه كذلك ألّم بأطراف مختلفة من الثقافة الأدبية العربية بصورة مباشرة[1].

و قد تجلت دعوة الشّابي إلى تحرير الأدب من قيوده التقليدية البالية، فقد كانت ثورته عنيفة عارمة و لكنّها لم تفقد احترامها و تقديرها للقديم، و يعبر عن تجربته التي يخوضها في وجود المعاصر، إنّه يبحث عن إضافة إبداعية و الإبداع في نظر الشّابي لا يتم بالتجاوز و التخطي للقديم[2].

و لما كان الاستعمال يستخدم الأساليب الدنيئة و السياسة الخبيثة ما يحقق به أهدافه و مطامعه، كان لزاما على الشعوب الواقعة تحت نيره أن تستسلم لواقعها التّعس و أن تكافح في سبيل تحقيق الحياة الحرة الكريمة، و من تم اهتدى الشّابي إلى أن الكفاح رهن بتلك الحقيقة النفسية الرائعة إرادة الحياة، و دافع الموت، فإن تضعضع دافع الحياة في نفسه كان الموت، أو كانت حياته أشبه بالموت، و قد نقل الشّابي هذه الحقيقة إلى الشعب بأسره بأنّ الحياة لا تحقق بطريقة عفوية، بل هي رهن بمدى حرارة الأشواق التي يستشعرها الإنسان إزاء الحياة، فإن اشتعلت في نفسه هذه الأشواق تولدت الإرادة وتغلّب دافع الحياة على دافع الموت و عندما يصبح الطموح دليل الإنسان إلى المغامرة، أمّا إذا أخمدت أشواق الحياة في نفس الإنسان فقد الطموح، وكن عن المغامرة و في هذا القول يقول الشّابي من قصيدته "إرادة الحياة":

---

[1] خليفة محمد التليسي "الشابي و حيران" ، ص 208.

[2] خليفة محمد التليسي "الشابي و حيران" دار العودة بيروت ط2، سنة 1967، ص 208.

إذا الشُعْبُ يَوْمًا أرَادَ الحياة فَلاَ بُدَّ أَنْ يستجيبَ القَدَر

وَ لاَ بُدَّ لِلَّيْلِ أَنْ يَنْجَلِي وَ لاَ بُدَّ لِلْقَيْدِ أن يَنْكَسِر

وَ مَنْ لم يُعَانِق شَوْقَ الحَيَــاة تَبَخَّرَ في جَوِّهَا و انْدَثَــرَ

كَذَلِكَ قالتْ في الكائِنَــات وَ حَدَّثَنِي رُوحُهــَا المُسْتَتِرْ[1]

ثم يعود في نفس القصيدة لكي يؤكّد هذه المعاني على لسان الأرض:

أُبَاركُ في النَّاسِ أَهْلَ الطمُّوحِ وَ مَنْ يسْتَلِذْ ركوبَ الخَطَر

وأَلْعَنُ مَنْ لا يُمَاشِي الزَّمَــانَ وَ يَقْنعِ بالعَيْشِ عَيْشَ الحَجَر[2]

و كما كان حديث الشّابي عن النشوة القدسية، و كيف أنّها روح هذا العالم المنظور ، لذلك كثر في أشعاره ترديد عبارات، روح الطبيعة، صميم الحياة، صميم الوجود، فمعانقة الحياة في صميمها من شأنه أن يولد هذه النشوة، نشوة التعرف على حقيقة الكون، و حقيقة الوجود، لقد تغلغلت روح الشّابي في أعماق الوجود، فتعرّف على حقيقته، و اكتسب بذلك القوة التي تؤهله لمواجهة الظواهر العارضة، و من هذا المنطلق يمكننا أن نتساءل: كيف كانت تجربة الشّابي نفسه مع ظواهر الكون و مع حقائقه الجوهرية؟

لقد فتح للحياة و للكون قلبه فهل لقي منها استجابة، فكلما سأل الحياة عن الحق كانت هذه الأخيرة عن كل همس.

[1] الديوان، ص 406.

[2] المصدر نفسه، ص 407.

لم أجِد في الحَيَاة نَغَمًا بَدِيعًا يَسْتَهِينِي سِوَى سكينة نفسي[1]

كذلك قال عن صمت ظواهر الكون عندما يسألها:

و سَأَلْتُ اللَّيْلَ و اللَّيْلَ كئيب رَهِيبُ شاخصًا باللَّيْلِ و اللّيل جميل و غَرِيب

فتلاقت أطراف "تجربة الشّابي" و تتكامل عندما يحدثنا عن موقفه من الجمال حديثا يرفع فيه من شأن الروح و يقلل من قيمة الشّكر، فالجمال الّذي تقع عليه الحواس ليس جمالا حقيقيا، لأنّه جمال متحرّك و متغير نسبي أمّا الجمال الذي تهتزّ له الروح فهو الجمال المعنوي الّذي يقترن بالحق و الخير، و من ثم أنّه لا ينكر على الحسان الفاتنات حسنهنّ وفتنتهنّ، و لكنّه ينظر إلى هذا الحسن و هذه الفتنة بوصفها عرضا ينبغي تجاوزه إلى الجوهر و الروح[2].

و لقد عاش الشّابي بعواطفه حتّى كادت العواطف عنده تصبح مرضا ناهشه- كما تقول نازك الملائكة، و قد توزعت هذه العواطف بين همومه الشخصية، و مشكلات مجتمعه، فكان العبء عليه ثقيلا، فلم تتولد عن هذه العواطف إلاّ الآلام و الأحزان، فكان يحمل الوجود- على حد تعبيره- على قلبه كأنّه هو المسؤول عن كل ما فيه، و ربّما تمرّد الشاعر على نفسه.

فَلِ عِبْء الحَيَاة عَنْكَ وَهْيَا بِمَحْيَا كالصَّبْحِ طَلق أديمه[3]

و قد كان شعر الشّابي قدر له في الحياة فقد أغنى روحه في التغني بالحياة، و في إيقاظ الأرواح الخامدة.

---

[1] المصدر السابق، ديوان الشابي ص 134

[2] المصدر نفسه، ص 270.

[3] المصدر نفسه، ص 303 ديوان الشابي ص 303.

عِشْ بالشّعُورِ و للشّعُورِ فإنّمَا دُنْيَاكَ كَوْنَ عَوَاطِفِ و شُعُور

شيَّدَتْ على العَطْف العَمِيق وإنّمَا لتجف لو شيدت على التَّفْكير[1]

ثم يظهر وجه جديد من وجوه تجربة الشابي، يلتقي فيه كثير من الشعراء الرومنتيكيين أي "الغربة" و هذا شعور حزن يورث صاحبه الكآبة و إن اجتمعت له كل أسباب اللّهو و التسلي: فقال:

مهما تضاحكت الحياة فإنّني أبدا كئيب

أصغي لأوجاع الكآبة و الكآبة لا تجيب

في بهجتي تتأوّه السلوى و يختلج النحيب[2]

و تضافرت على تجربة الشابي الشعرية عناصر شخصية تتعلق بحياته، و علاقته بأقرب النّاس، بالفتاة التي أغرم بها في مستهل تفتحه الوجداني التي اخترمها الموت، و بأبيه كان يسبغ عليه العطف و الرعاية و إذا به يودع الدنيا مخلفا له تركة من الأعباء والمسؤوليات، و أخيرا في العلة التي أصابت قلبه، و هي علة أدّت به إلى الوفاة.

المطلب الثالث: مفهوم الشعر عند الشّابي

لقد كانت نظرة الشابي إلى الشعر خاصة، بخلاف نظرته إلى الأدب عامة فهي تعتبر و جهة النظر التأثّرية أو الرومانسية فقد بث في قصيدته "يا شعر" فلسفته الخاصة في هذا المجال، و هو صرخة و صدى و نحيب القلب معرّف الشعر كالآتي: "الشعر هو ما تسمعه و تبصره، في ضجة الريح، و هدير البحار، و في بسمة الوردة الحائرة يدور فوقها النحل

[1] المصدر نفسه، ص 356.

[2] المصدر السابق، ص 212.

ويرفرف حواليها الفراش، و في النغمة المفردة، ووسوسة الجدول، و دمدقة النهر و مطلع الشمس، و خفوق النّجوم ..."[1]

إذن الشّابي رومانسي إلى حد بعيد، فطأ إلى الطبيعة ليحدد مفهوم الشعر فاتخذ منها منجعا للأفكار و الآراء، فذكر كلّ العناصر بحار، ورود، أنهار، جداول، رياح ...

فالشّـــابي كان يدعـــو إلى الثورة على التقليد و كان في دعوتـــه هذه قاسيا شديدا، وكان يدرك أنّ هذا التقليد الّذي امتدت جذوره إلى الكيان العربي لا سبيل إلى التخلص منه إلاّ بالإجهاز عليه في فترة لا تعرف الإشفاق، فظل الشّابي متمسكا بهذه القضية الأدبية و لم يتحول عنها، رغم أن المناديـــن بالتجديـــد في الشرق، و الذين تأثر بهم، عادوا إلى النظم على الطريقة القديمة صياغة و مضمونا "لقد ركز ا لشّابي آراءه ومذهبه الأدبي في محاضرة أثارت ضجة كبرى في الأوساط الأدبية آنذاك و هي (الخيال الشعري عند العرب)، و كلّ دراسة (حول الشّابي) تتجاهل هذه المحاضرة مقضى عليها بالفشل[2].

في الواقع كان شعره تعبيرا عن حياته فهو قطعة من فؤاده، و قطرة من دمه و مزيجا من العبقرية، و هذا ما قاله معبرا عن شعره:

أنت يَا شِعْرَ، فَلَذَةً من فُؤادِي تتغنى و قطعة من وجودي

فيكِ ما في جَوَانِحي مِنْ فَمين أَبْدي إلى صميم الوُجُودِ[3]

---

[1]نسيب النشاوي: مدخل إلى دراسة المدارس الأدبية في الشعر العربي المعاصر، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر،د.ط، سنة 1989، ص 284.

[2]خليفة محمد التلسيي "الشابي و جبران"، ص 18-19.

[3]الديوان ص 214.

و من هنا اعتبر الشّابي، أن الشعر هو الشعور و الوجدان و العواطف المعبرة عن ذات الشاعر، إذن فالنص هو قطعة من ذاته و كيانه، و الشعر مرآة عاكسة لنفسية الشاعر، و الثابت أن ا لشّابي من الصنف العميق بالإحساس، و شاعريته تتمثل في صدقه في التعبير و دقته في التصوير، فهو يحل العاطفة الجياشة في الشعر المحل الأول منه.

قال في تعريف آخر للشعر: "أما أنا فلا أفهم من الشعر إلا أنّه فيض الحياة في أيقض ساعاتها و أحفلها بنوازع الفكر و الشعور، و كما أن السحابة العابرة قد تسيل السيول وتكسب لقطرات، فكذلك نفس الشاعر"[1].

من هذا التعريف نلمس أن يكون الشاعر إنسانا ممتازا بشعوره و ممتازا بتعبيره عن الشعور، و تصوراته تكون أرقى من تصورات البشر العاديين.

ضف إلى ذلك رسالة الشعر عند الشّابي رسالـــة روحية تتمثل في إعداد النفس البشرية، و فهم العالم المحيط بالذات فهما عميقا و شاملا.

فمن خلال هذا فإنّ الشّابي حاول أن يشارك في تصحيح معنى الشعر بالأمثلة الحية التي قدمها، و بالموقف الثائر الذي اتخذه من الشعر القديم و الشعر العربي التقليدي المعاصر له.

المطلب الرّابع: موقف الشّابي من التراث القديم و دعوته للتجديد

على ضوء ما درسنا في مفهومنا للشعر عند الشّابي، فإننا نصطدم بأوّل بذرة زرعها الشّابي هي رفض التجارب الشعرية القديمة التي اتخذت من ذلك التعريف المأثور على أن

[1] محمد مصايف النقد الأدبي الحديث في المغرب العربي المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ط2، 1984، ص 115.

الشعر هو الكلام الموزون المقفى، شعارا يقتل كل صدق شعوري و تعبيري و بالتالي لا نستطيع أن نميز بين شعر الحياة الخالد و شعر السخافات و التقاليد.

"إنّ صورة الشاعر، لدى الشّابي هي صورة ذلك الفنان الّذي يكوّن في روحه شيء من طبع النبوة التي تبصر ما يبصره النّاس، و تشعر بأسمى ما يشعرون، و عنصر من معنى الألوهية التي تخلق المادة الصماء حياة ساحرة و فلكا دائرا ..."[1]

هذا ما كان يريده الشّابي مقابل ما دعت إليه الأجيال القديمة، و حددت وظيفته أن ينظم الكلام الموزون المقفى، و كان ذلك هو المثال الّذي قدمته بيئته المعاصرة له، هو الّذي قامت ضده ثورة المجددين، لتكوين الشاعر الذي يحمل رسالة الشعر وفق مفهومها الإنساني.

فالشّابي تجاوب في دعوته مع هذه الدعوات التي حملتها المدرسة الجديدة كانت تندد و ترفض تسخير الشعر، المدح، و الرثاء، فثـــار على كل وثن من أوثـــان الأدب وأغلاله، وخلص بنفسه من طرائفه القديمة الممقوتـــة، و حاول أن يبعث طرائف فنية رائعة، وأساليب حية ممتعة قوية في موضوعها، و ساحرة في تعابيرها، كما قال الشّابي:

"لقد أصبحنا نتطلب حياة قوية مشرقة، ملؤها العزم و الشباب"[2]. هنا أوضح الشّابي آراءه بشجاعة و حماس شديد.

من الواضح أنّ الشّابي كان له موقف من التراث القديم و له صلة به، و منهجه وأسلوبه كان مستمدا من عمق صلته بالتراث الّذي قرأه، و دخل في تكوينه كعامل أساسي لتجربته الشعرية.

---

[1] خليفة محمد التليسي "الشابي و جبران" دار الثّقافة بيروت ط2، 1967، ص 203.

[2] أبو القاسم محمد كرو: الشابي حياته و شعره، دار مكتبة الحياة بيروت، ط3، سنة 1960، ص 76.

يرى الشّابي أن تجاوز و تخطي القديم إبراع، و يرى أن الوقوف عند القديم جمودا أي أكده بقوله:

"عندما أقول ذلك الرأي عن الأدب العربي، لا أزعم أنّه لا يلائم أذواق تلك العصور و لا أرواحها، و لكني أقول أنه لم يعد ملائما لروحنا الحاضرة و لمزاجنا الحالي و لآمالنا ورغائبنا في هذه الحياة ..."[1].

فيتبادر سؤال في ذهننا عن العوامل الفعالة التي شاركت في تكوين هذا الموقف من التراث الأدبي و الدعوة إلى التجديد و أهم هذه الأسباب ما هي؟

1- مزاج الشّابي: كان مزاج هذا الرّجل رومانسي، و أحب الصور إلى نفسه تلك التي يقدّمها الأدب الرومانسي.

2- عصره: عاش في عصر حفلت فيه الحياة بمختلف النشاطات الفكرية ضف إلى ذلك الدعوات التجديدية التي برزت في "مدرسة الديـــوان" و مدرسة أبولو، و "مدرسة المهجر"، فكان يتابع هذه المعارك و يتأثر بها مع المراجعة لمختلف المفاهيم الشائعة، و لكي ندرك حقيقة موقفه نقف عند الآراء الأدبية التي كانت في عصره:

"كان العقاد يحمل راية التجديد، و كان يخاصم شوقي من أجل هذا التجديد، و كان يكتب المقالات العديدة في تأكيد مفهومه للشعر، كما كان المازني يكتب دراساته النقدية عن ابن الرومي، و بشار، و يدعو إلى الصدق في الإحساس و التعبير، و كان نعيمة قد أصدر كتابه "الغربال" يحمل هجوما على المدرسة التقليدية، و دعوة إلى أدب جديد و قد كان له أثر كبير في توجيه حركة التجديد، و كان جبران يكتب: "لكم لغتكم و لي لغتي" كما كان "الدكتور طه حسين "يعيد تقسيم التراث الشعري العربي، و يدرسه وفق نظرة

[1] المرجع نفسه، ص 207.

جديدة تنزع عنه كل ما أحيط به من إجلال و تقديس، و ينشر ذلك في سلسلة مقالات تناولت أعلام الشعر العربي القديم ..."[1].

و من هنا نستخلص أن قراءة الشّابي للأدب القديم هو ثمرة وجوده الفكري والثقافي، و يمثل العامل الأوّل في تكوين تجربته الشعرية، و ينظر إلى التراث القديم و يدعو إلى التجديد.

كما كانت مطالعته للأدب العربي المترجم دافع للتحفيز و إثارة غيرته على أدب أجداده و آبائه مع محاولة بحثه عن الصور الجديدة في الأدب القديم.

و يظهر لنا من كل ما تقدم أنّ الشّابي يقف موقفا سلبيا من التراث القديم، و يرى أنّه "يجب أن ينظر إليه كأنّه تحفة أثرية في متحف، و التجديد يكون باستلهام الروح الغربية في الشعر"[2].

و التجديد هو نمو طبيعي من قلب التراث ليس تكرار القديم بل إدراك الحاضر وفهم الماضي و الاستفادة منه.

[1] خليفة محمد التليسي "الشابي و جبران" ص 215-216.

[2] رينا عوض أعلام الشعر العربي مطبعة الديوان، د.ط، د.ت، ص 20.

المبحث الثاني : العوامل الأساسية في تكوين تجربة الشّابي الشعرية

المطلب الأوّل: تأثير مدرسة المهجر في أدب الشّابي

في البداية يمكن القول أنّه: "ينعقد الإجماع على أن الشّابي كان تلميذا للمدرسة المهجرية، و الطابع الذي تركته هذه المدرسة في أدب الشّابي لا سبيل إلى إنكاره و إغفاله و تجاهله"[1].

و من المعلوم أن الأدب المهجري يمتاز بتبرمه الناعم و ثورته الجامدة و صوفيته الحالمة، و ضروب شتى من ألوان المثالية المجنحة في الحب الحياة و الميول و الآمال التي تتحقق في أدب الشابي "و هو في هذا كله كان تلميذ جبران ... الذي انتهى في أدبه إلى الثورة على كلّ قديم. ... و هو مذهب تأثر به الشّابي ... و هناك أمثلة عديدة للصّور الجبرانية في شعر الشّابي، و بعضها أصبح أبياتا قائمة بذاتها، و لهذا فإنّه يتوجّب الإلتفات إلى جبران بصفة خاصة إذ أريد فهم الشابي و المدارس الأدبية التي أثرت فيه"[2].

"لعلّ التأثير الجبراني يبدو جليا في كتابات الشابي النثرية و في كتابه الوحيد" الخيال الشعري عند العرب" فالتأثير واضح المعالم في هذا الكتاب و كثير من أفكار جبران عن الخيال، و الخيال الشعري ثم طريقته في الكتابة ذاتها تؤكد فرضية هذا التأثير"[3].

و الثابت أن الحب و الحرية و التمرد، هي العناصر البارزة التي تقوم عليها فلسفة جبران أو مذهبه في الحياة، و هي التي تكون مضمونه الأدبي، و هذا ما يبدو جليّا في أدب

[1] رينا عوض أعلام الشّعر العربي: مطبعة الديوان ص 20.

[2] نسيب النشاوي مدخل إلى دراسة المدارس الأدبية في الشعر العربي المعاصر، ص 284.

[3] مجلة الفكر-عدد خاص بخمسينية الشابي، الشركة التونسية الفنون الرسم العدد 30 نوفمبر 1984، ص 152.

الشّابي الّذي كان يؤمن بالطموح إيمانا عميقا، و كان يبحث في شعبه عن صورة المغامر الثائر في سبيل تحقيق مطامحه، و من هنا يهتف الشّابي قائلا:

اذا الشّعْبُ يومًا أراد الحياة فلا بدّ أن يستجيب القدر

و لا بدّ للّيل أن يَنْجَلِـــي وَ لا بدَّ للقيد أن ينكَســـر[1]

هذه القصيدة الخالدة التي تعلن للناس الطموح حبيب الحياة و روح الظفر يجب أن نبحث عن العناصر التي كانت تغذي جذورها في أدب جبران و في هذا الصدد يقول جبران:

ما السعادة في الدّنيا سوى شبح يُرْجي فإن صار جسمًا مَلَّهُ البشر

و يقول الشّابي:

و ما السعادة في الدّنيا سوى حُلْمُ نَادَ تُضِحي لَهُ أيَّامَهَا الأمـــم[2]

يبدو من خلال البيتين السابقين أن موضوع القصيدتين واحد هو "السعادة في حياة النّاس" فالصدر في البيتين واحد لفظا و معنى سوى تغيير طفيف في اللفظة الأخيرة الذي لم يغير من المعنى شيئا

غير أنّنا نرى أن الشّابي كان أعمق من جبران و أصدق تصويرا منه للسعادة في عجز البيتين.

لقد حاولنا أن نثبت من خلال النصوص السابقة ذكرها مدى تأثر الشّابي بجبران من حيث المضمون أو فلسفة الحياة و الإيمان بها

[1] الديوان ، ص 406-407.
[2] المصدر نفسه، ص 367.

أمّا التشابه في الخصائص الفنية فتلك صفة واضحة في اتفاق الأدبين على تمجيد الفنّ و السمو به عن الأغراض التافهة و لعل جبران قد ألقى في نفس الشّابي مثل هذا التقدير فقد كان ثائرا على الهبوط بالشعر إلى الاهتمام بالتوافه الاجتماعية و هي ثورة قام عليها مدح الأدب المهجري.

هذا مثال واحد سقناه للتدليل على أثر الأدب المهجري في أسلوب الشّابي وتفكيره، و لو عدنا إلى أمثلة أخرى لرأينا أو لاكتشفنا التأثير الّذي تركته المدرسة المهجرية في أدب الشابي و خاصة بنقدات نعيمة التي وجّهته إلى الاستفادة من أخطاء مدرسة شوقي و حافظ

و يمكن الرجوع إلى قصائد: "إلى الموت"، "الاعتراف"، "الصباح الجديد" لأبي القاسم الشابي فستجدها جميعها تطفح بالأسى و ستبدو الحياة من خلالها فجاجا عميقا من الجحيم، و جبالا من الهموم، و ضبابا من الألم.

أصبح تفاعل الشاعر مع الطبيعة تفاعلا حيا فلم تعد الطبيعة هذا الشيء المنفصل عن تجربة شاعر و إنّما أصبحت مظاهر الطبيعة رموزا لحالة الشاعر الشعورية"[1]

و كان لذلك كله أثره في تكوين الشّابي الثقافي، حيث تطلع طموحه منذ اليوم إلى قادة الفكر الحديث في المشرق و المهجر، و من هنا استمد القاعدة الأولى التي قامت عليها تجربته الشعرية و من المفيد أن نشير إلى أن مجلة أبولو كانت الدوريات المقروءة كثيرا في المغرب العربي، و كان الشّابي كما ذكرنا سالفا ينشر فيها مقالاته و قصائده.

[1] محمد ركي العستماوي "الأديب و قيم الحياة المعاصرة، دار النّهضة بيروت، 1980، ص 109.

و الّذي بلغت النظر في هذه الرسالة هو أمل الشّابي في أن يشارك مجد جون مصريون أمثال العقاد و المازني و طه حسين في تحريرها، و هو أمر هام، لأنّه يبين الاتّجاه الذي كان يتجاوب معه نقاد الاتّجاه التأثيري.

و نرى من المفيد-أيضا- أن نذكر بأن الشّابي قد انظم إلى مدرسة أبولو، و لكنه سرعان ما انفصل عنها و ولى وجهه شطر المهجر[1]

و نخلص ممّا سبق إلى نتيجة مفادها بأن الشّابي استطاع أن يستوعب إبداعات الرّواد و ما توصّل إليه المهجريون رغم بعد المسافة، فضلا عن النظريات التي كان ينادي بها الأدباء الإنجليز و الفرنسيين، و غيرهم، و التي نجدها مجسدة في أعماله و أشعاره، مع العلم أنّه كان يجهل اللغات الأجنبية و هذا ما يدل دلالة قاطعة على عبقريته الفذة وموهبته الشعرية[2].

المطلب الثـــاني: تأثـــره بمدرســـة الديـــوان

فما هو معلوم أنّ "العقاد كان يحمل راية التجديد و كان يخاصم شوقي من أجل هذا التجديد، فكان يكتب المقالات العديدة التي تؤكد مفهومه للشعر، و يدعو إلى ظهور شخصية الشاعر في شعره وثيقة نفسية تعرّفنا بمزاجه و نظرته إلى الحياة"[3]

فانطلاقا من هذا يمكن أن نلتمـــس تأثير مدرسة الديوان في شعـــر و أدب الشّـــابي، وخاصة العقاد، و بوجه التحديد في المفاهيم الشعرية، فلقد كان العقاد يكتب في ذلك الوقت مقالات موجهة إلى شوقي في تصحيح معنى الشعر، و نلتمس ذلك أيضا

[1] نسيب النشاوي، مدخل إلى دراسة المدارس الأدبية و الشعر المعاصر ص 284.
[2] المصدر نفسه، ص 285.
[3] المصدر السابق، ص 215.

عند الشابي عندما يقول عن الشاعر: "لكي يدرك علته الحقيقية فانظر هل هو من ذلك النوع الذي يوسع أفق الحياة في نفسك و تجعلها تحس بتيارات الوجود أكثر مما تحس وندرك من معانيه و أصواته ... إذا كانت من هذا النوع فاعلم أنّك تقرأ شعرا إلهيا لا توجد مثله الحياة كثيرا، و إلا فاعلم أنّك تقرأ مثلا دون ذلك"[1]

و مما سبق و عن طريق مقارنة بسيطة بين التعريفين تبين لنا مدى تأثير مدرسة الديوان، و بصفة خاصة العقاد في أدب الشّابي، و من الواضح أنّ هذا الأخير قد تجاوب مع الدعوات التي حملتها مدرسة الديوان و التي كانت تندد بتسخـــير الشعر لأغراض مختلفة، مثل المدح و الرثاء و التهاني، و ممّا يدل على أنّ الشّابي قد تأثر بالعقاد و المازني هو استعماله المصطلحات و النعوت نفسها التي كان يستعملها المازني و العقاد و غيرهما في حملتهم ضد شعراء الجيل السابق.

و الملاحظ أنّ الشّابي كان يعجب إعجابا شديدا و يؤمن إيمانا عميقا بقدراته الأدبية، و قد كان له تأثير واضح في صياغة أحكامه عن التجديد الشعري، و يتجلى ذلك واضحا في تعريف الشّابي للشعر حين يقول: "... و الشعر في آخر الأمر إنما هو الحياة ذاتها: حسنها و دمامتها في صمتها و ضجتها، و في هدوئها و ثورتها، في نومها و يقظتها و في كل مرة صورة من صورها و لون من ألوانها"[2]

إنّ تصوير الشّابي للشعر بهذا الشكل إنما يتفق مع العقاد الذي عرّف الشعر بأنّه: "التعبير الجميل عن الشعور الصادق"[3]

[1] خليفة محمد التلسي، الشابي و جبران ص 22.
[2] أبو القاسم محمد كرو "الشابي حياته و شعره ص 268.
[3] مجلة الفكر ، ص 68.

كما يبدو تأثره بآراء العقاد حول المفاهيم الشعرية خاصة كما تأثر بالمازني "الذي كان يدعو إلى الصدق في الإحساس و التعبير و كان متأثرا بالأدب الغـــربي و متعصب له، و كان يفضل الشعر الغربي و يبرز عيوب الشعر العربي قائلا: لسنا نحاول زراية العرب أو الغض من شعرهم، و إنّما نريد أن نقول أن العرب ليسوا أشعر الأمم ..."[1]

هَكَذَا قَالَ ثُمَّ سَارَ إلَى الغَابِ لِيَحْيَا حَيَاة شَعْر وَ قدس[2]

من الأبيات السابقة يتضح أنّ الشعر لا يتأتى إثر نوبة عصبية، هذه النوبة هي التي تحرك نفس الشاعر. و تجعله يتلقى إلهاما يعتقد الكثيرون أنّه ضرب من النبوءة.

إنّ كتابات عبد الرحمن شكري و العقاد و المازني هي التي خولت للشّابي التطلع على أفكار الرومانسيين الغربيين عن الخيال خاصة "فكان شكري يكتب عن "كولوردج" الذي ميز بين "الوهم" و "الخيال" و وجه في كتابات المازني صدى لأفكار "شلبي"، و عن العقاد تأثرا واضحا "بهازلت"[3].

و لا شك في أنّ الكثير من الآراء التي تناولتها مدرسة الديوان فقد دخلت كعامل أساسي في تكوين تجربة الشّابي الشعرية و كان لها أثر كبير في نفسه تدل عليه حماسته التي عبرّ عنها في رسائله للعليوي، و لا يمكن لأحد أن يغفل هذا الجانب من تكوين الشابي الثقافي، و كانت هذه المدرســـة و على رأسها العـــقاد من بين العوامـــل التي استفاد منها، وحمل لها في نفسه تقديرا و احتراما كبيرين.

[1] المرجع السابق، ص 68.
[2] الديوان، ص 12.
[3] مجلة الفكر، ص 208.

المطلب الثالث: قراءاته الأدب الغربي من خلال الترجمات

"لم يتعلم الشّابي لغة أجنبية، و لا خرج عن محيط بيئته و لكنه قرأ و استوعب كل ما وقع عليه من شعر قديم و حديث و أدب غربي منقول، و انطبعت في خياله عن طريق القراءات"[1] خاصة تلك التي جاءت بها مدرسة الديوان كما أسلفنا، فقد عاش الشّابي إذن أزمة اللغات الأجنبية فلجأ إلى الترجمة و قد ظهر تأثره بالغرب في كتابه الوحيد و الموسوم "الخيال الشعري عند العرب"

الثابت أن الشّابي لم يتقن لغة أجنبية، بل كان يطالع معظم آثار أعلامها فيما ترجم لهم "فكان يعتبر لامرتين في القمة من الشعراء، يمثل الشعر في أعمق أسمى آفاقه و أجمل تعابيره"[2]

"إنّ دعوة الشّابي للتجديد و ثورته على القديم، لها عوامل ثلاث، جعلتها نسخة مكررة في الروح و الأسلوب. أولها: سيطرة التقاليد الأدبية، ثانيها: الفهم الخاطئ لمعنى الأدب و رسالته في الحياة، و النظر إليه على أنّه قيمة لفظية لغوية.

و الثالث: عدم الإطلاع على أدب الأمم الأخرى[3].

و هذا العامل الأخير شغل الشّابي كثيرا، فكان يؤمن بالاتصال بالآداب الأجنبية، والخروج من الطريق الذي سلكته الأجيال في احتداء النموذج الجاهلي الثابت الذي سيطر على مختلف العصور الأدبية، "فتراه أعجب"بلا مرتين" و "أسيان" و غيرهما من الشعراء الرومنطقيين فظلم العرب و حابى الغرب، لقد أقبل على ضليع الخارج و بضاعة

[1] شوقي ضيف دراسات في الشّعر العربي المعاصر، دار المعارف مصر ط7، د.ت، ص 143.
[2] مجلة الفكر، ص 39.
[3] خليفة محمد التليسي الشابي و جبران ، ص 212.

فرنسا، فوقع على لامرتين و كان يستطيع أن يصادق "أراقون" أو "الوارد" أو "أندريه بريتون"[1].

رغم أنّ الشّابي كما أسلفنا الذكر لم يكن يعرف لغة أجنبية إلا أنّه تمكن بفضل مطالعاته الواسعة من استيعاب ما تنشره المطابع العربية عن آداب الغرب و حضارته، هذه الآداب التي يمكن أن نعتبرها عاملا من عوامل التكوين الفكري أو الثقافي، و يمكن ملاحظة ذلك في الأمثلة التي أوردها الشّابي في كتابه هذا الّذي يدل على أنّه قرأ قدرا لا بأس به من النماذج المترجمة، عن الآداب الأوروبية، كما اتخذ من بعضها حجة، و دليلا على قصور الخيال في الأدب العربي.

بالإضافة إلى هذه العوامل، هناك عوامل أخرى تكاثفت على تكوين تجربة الشّابي الشعرية و تتصل اتصالا وثيقا بشخصيته، و هي تؤكد –هذه العوامل– ما تميز به من طابع ذاتي قوي و أصالة واضحة، برزت مستقلة عن كل أثر، و بلغ من قوتها و أصالتها وعمقها أن كانت مؤثرة فيمن جـــاء بعده من الشعراء، و سوف يظل الشّابي روحا خالدا، يملأ الوجدان العربي بنغمات حية لا تزول، و مرجع هذه القوة و الأصالة و شعوره بذاته و يقظة إحساسه[2].

[1] مجلة الفكر، ص 39 عدد خاص 1984.

[2] أبو القاسم الشابي: الخيال الشعري عند العرب، ص 18.

المبحث الثالث: موضوعات التجربة الشعرية

يخصّص الشّابي المواضيع القديمة الخالدة من حماس و فخر و رثاء و حكمة بالنسج القديم، فيستفرغ الأدب العربي باستعاراتها و كنايتها و مجازاتها المتعارفة المحفوظة لدى القوم، إلى غير ذلك مما يكسب شعره هيبة الأقدمين و عظمتهم "فهو إذا تفرغ إلى المواضيع الأدبية البحتة أو ذات الصبغة الإجماعية و الأخلاقية رأيته فيها غير-أبي القاسم الأوّل- فهو فيها يتحرّر من القيود الزائدة، واسع الحرية في إختيار الألفاظ و توسيع القاموس الأدبي بمئات من المعاني الجديدة السّامية يفرغها في بعض الألفاظ الخاملة، فإذا هي أصرح في الدلالة من حقائق القواميس اللّغوية[1].

و من بين الموضوعات التي طرقها الشابي في حياته نذكر:

المطـــلـــب الأوّل:

1- الـــوطـــن:

نشأ الشّابي و شبّ في بيئة تحيط بها سجون العماية و الضلال، من كل جانب وتسيطر على حياتها و مقدراتها، عناصر بغيضة إلى كل نفس كريمة لدى كل إنسان يشعر بحقيقة نفسه و بحقيقة الحياة الطيبة السعيدة[2].

انطلاقا من الظروف الاجتماعية و السياسية التي كان يعيشها الشعب التونسي كباقي الشعوب العربية المجاورة له، فإن الشرارة الأولى في وطنية الشابي إنّما اندلعت من اصطدامه بالواقع الاجتماعي المتخلّف، فليس من اليسير على شاعر كالشّابي وقّاد الفكر مشبوت الخيال، دقيق الحس و الشعور أن يرضى عن هذا المجتمع و أن يطمئن لنوع الحياة

[1] زين العابدين السنوسي "الأدب التونسي في القرن الرّابع عشر" 1979، الدار التونسية للنشر، ص 40.
[2] أبو القاسم محمد كرو: الشابي حياته و شعره ص 73.

التي يعيشها، أو لأصناف الظلم و العبودية التي يعانيها و الآلام التي يكابدها "أنّها وطنية صارخة، و حملاتها نارية عنيفة، و لكنها لم تكن موجهة إلى الاستعمار الّذي يكبّل مجتمعه و يعوقه عن الحياة، بمقدار ما هي موجهة إلى هذه النزعة التي حبست أنفاس الشعب وقيدته إلى العصور القديمة البالية و مفاهيمها العتيقة التي فقدت معانيها في نفوس الشباب الواعي، المتفهم لرسالته في الحياة[1]

فإلى جانب تواجد الاستعمار كان الشعب التونسي نائما في شقائه مستسلما للتعاسة و البؤس مؤمنا بصدق هؤلاء الموتى من الأحياء، و الأحياء من الموتى"[2].

فها هو الشابي يخاطب شعبه قائلا:

أَيْنَ يَا شَعْبُ قَلْبُكَ الخَافِقُ الحَسَّاسُ؟ أَيْنَ الطُّمُوحُ وَ الأَحْلاَمُ؟

أين يا شَعْبُ رُوحَكَ الشَّاعِرُ الفَتَّانُ أَيْنَ الخَيَالُ وَ الأُحهَـــامُ؟

أَيْنَ يَا شَعْبُ فَنَّكَ السَّاحِرُ الخَلاَّقُ أَيْنَ الرُّسُومُ و الأَنْغَـــامُ؟

إنّ يَمَّ الحياة يدوي حَوَالَيْـــكَ فأيْنَ المُغَامِـــرُ المِقْـــدَامُ؟

فمن خلال هذه الأبيات يمكن تحديد وطنية الشّابي، ذلك لأنّها تحمل خطوطا عريضة واضحة تدل على مدى إحساسه بضرورة البعث و التطوير و تشير إلى التساؤلات التي يطرحها على شعبه و مجتمعه.

فليس في الأرض أشقى من شعب يعيش على أمجاد تاريخه و حياته الحاضرة خالية من كل مجد:

[1] خليفة محمد التليسي الشابي و جبران ص 64.

[2] أبو القاسم محمد كرو: الشابي حياته و شعره، ص 74.

و الشَّقِيُ الشَّقِيُ في الأرض قَلْبُ يَوْمهُ مَيِّتُ، و مَاضِيهِ حَيُّ[1]

هكذا كان شعبه، أو هكذا كان الشعب العربي، يعيش على أمجاده الماضية قانعا باجترار مآثرها و الركون إليها و الاستنامة إلى تحذيرها و ما فيها من روائع الأحلام و الأوهام[2].

لقد كان الشّابي مندفعا بثورته على شعبه، حتى ليذكر عليه كل قوة و لا يراه خليقا بالحياة لأنّها غنية عنه، فينطلق صارخا في تمرد عنيف:

أنْتَ قَلْبُ لاَ شَوْقَ فيه و لا عَزْمُ و هَذَا دَاءُ الحَيَاةِ الدَّوِيُّ[3]

لقد شعر الشّابي بأنّه يحمل على عاتقه هموم شعبه فأدى ذلك إلى توحيد ما بين همومه الفردية، و هموم قومه، و غدت القضية الذاتية قضية جماعية في آن واحد معا، ما دام الشاعر يعتبر جزء لا يتجزأ من المجتمع الذي يعيش في كنفه، فهو حين يتحدّث إلى الطغاة -طغاة العالم- و إلى أهل الظلم و الاستبداد، و يرمز من خلال ذلك إلى الحكم الفرنسي في تونس و إلى الحكم المستبد في أي بقعة من بقاع العالم، فنراه يثور فيهدد و يتوعد بنبرات حادة و أصوات مدوية و أمل قوي بانهزام الظلم و انتصار المظلوم ..."[4]

أَلاَ أَيُّهَا الظَّالِـــمُ المُسْتَبِـــد حَبِيبُ الفَنَاءِ عَدُوَّ الحَيَـــاةِ

سَخِرْتَ بِأَنَّاتِ شَعْبٍ ضعِيفٍ و كَفُّكَ مَخضُوبَة مِنْ دِمَاه

وَ سِرْتَ تُشَوِّهُ سِحْرَ الوُجُودِ وتَبْذُرُ شَوْكَ الأَسَى في رُبَـــاهِ[5]

---

[1] الدّيوان، ص 426.

[2] خليفة محمد التليسي "الشابي و جبران" ص 66.

[3] الدّيوان، ص 435.

[4] أحمد أبو حاقة الالتزام في الشعر العربي دار العلم للملايين بيروت ط1، 1979، ص 252.

[5] الديوان، ص 458.

فالظالم المستبد عدو الحياة، صديق الموت، يعبث بمصائر الشعوب الضعيفة و يسفك دماءها، فغير خفي ما في هذا الشعر من إشارة إلى نهاية الاستبداد الفرنسي في تونس آتية لا ريب فيها.

و لابّد الإشارة الأولى في وطنية الشابي إنّما اندلعت من اصطدامه بالواقع الاجتماعي المتخلف، يقول الشّابي:

عُمَّرُ ميّتُ و قَلْبُ خوَاءٍ وَ دَمُ لاَ تـــثـــيرُهُ الآلاَمُ

اَيُّ عَيْشٍ هذا و أيُّ حَيَاةٍ رُبَّ عَيْشٍ أَخَفُ من الحَمَامِ[1]

يبدو لي من هذين البيتين أن الشّابي يتّهم شعبه بالجمود و التخلف و عدم التجاوب مع أفراح الحياة أحزانها فيبدو ثائرا عنيفا، إنّها ثورة من يريد أن ينقل مجتمعه في يوم و ليلة إلى مجتمع شاعري فاضل[2].

لكن الشّابي سرعان ما يشعر بخيبة ندائه، و يعدد للشعب ما ضمته أشعاره من محاولات لا يقاظه، فردها كلها و ألبس صاحبها ثوبا من الحزن و اليأس، لذلك يصرح الشاعر بانقطاع الرجاء، و تصميمه على اعتزال الناس في قلب الغاب يقدسه الشّابي على نحوما قدسه جبران في الموكب:

إنّني ذاهب إلى الغَابِ يَا شعـــ بِي لأقضي الحياة و حدي بِيَأْسِ

إنّني ذاهب إلى الغاب عَلَيَّ في صميم الغابات أدْفِنُ بُؤسِي

[1] الديوان ص 426.

[2] خليفة محمد التليسي الشابي و جبران ص 69.

ثمَّ أنْسَاكَ ما استطعْتُ فَمَا أَنْـــ ت بأهْلٍ لخَمْرَتِي و لِكَأسِي[1]

يتضح من خلال هذه الأبيات أن مأساة الشاعر الكبرى هي في انعدام استجابة الشعب لندائه و دعواته.

إنّها وطنيّة صادقة لا تخدم أغراضا طبقية و لا تسير في ركاب حزب، و لا توحيها مناسبة هزيلة ضئيلة، لا تخرج في سطحيتها و برودها عن تعليق الصحف، إنّها وطنية متمردة، وطنية الشاعر الذي وعى رسالته فأحس في أعماقه أنّه مسؤول عن تبصير شعبه بمعاني الحياة الحرة الكريمة[2].

المطلـــب الثـــاني:

2- الطبيعـــة:

الحديث عن الطبيعة عند الطبيعة عند الشّابي يدفعنا إلى التمييز بين إحساسين[3] بين من يصف الطبيعة لمجرد أن يرها وسيلة من وسائل اللذّة و التنعيم، و بين من يصف الطبيعة لأنّه يعبدها، و ينظر إليها نظرة عاطفية، فالأوّل قد يقف عند المشاهدة الطبيعية فيستقصيها، و يتبع دقائقها، و تخرج من قراءاته لوحات فنية رائعة، لكن هذه اللوحات على الرغم من روعتها و جمالها، تفتقر إلى إحساس الخاشع المتصرف الذي نجده عند الشاعر الذي يصف الطبيعة وصف العابد لروعة معبوده، و هذا الإحساس الأخير نجده عند الشّابي بارزا، حيث يبدو عنده ظلما شديدا إلى الطبيعة فهو يحن إليها حنين العابد إلى

[1] الديوان ص 249.

[2] خليفة محمد التليسي الشابي و جبران ص 80-81 بتصرّف

[3] محمد خليفة التليسي "الشابي و جبران" ص 75.

ربّه[1]، و الطفل إلى أمّه، و يتجلى هذا الحنين و يظهر في تعطشه إلى رؤية الينابيع بين الروح و سماع نغمات الطيور، و يعبر عن هذا كله في قصيدته "إرادة الحياة"

ظَمِئْتُ إلى النُّورِ فَوْقَ الغُصُونِ ظَمِئْتُ إلى الظِّلِ تَحْتَ الشَّجَرِ

ظَمِئْتُ إلى النَّبْعِ بين المُرُوجِ يُغَنِّي و يَرْقُصُ فَوْقَ الزَّهَرِ

ظَمِئْتُ إلى الكَوْنِ أَيْنَ الوُجُودُ وَ أَنِّي أَرَى العالم المُنْتَظِر؟[2]

ويتضح لنا من خلال هذه الأبيات مدى تعلق الشّابي بالطبيعة إلى درجة العبادة والفناء في جمالها الأخّاذ.

و ممّا لا شك فيه فإن هروب الشّابي إلى الطبيعة يغري بادئ ذي بدء إلى تغلب النزعة الفردية في نفسه، إذ يتمنى أن ينفرد بوحدته بعيدا عن البشر صارفا عمره بين الغابات و الجبال، و هذا ما يعبر عنه قائلا:

ليتَ لِي أن أعيشَ في هذه الدُّنْيَا سَعِيدًا لِوَحْدَتِي و انْفِرَادِي

اصْرِفُ العُمْرَ في الجِبَالِ و في الغَا بَاتِ بَيْنَ الصَّنَوْبَرِ المَيَّادِ

وأُغَنِّي مَعَ البَّلاَبِلِ في الغَـــا بِ و أصْغِي إِلَى خَرِيرَ الوَادِي[3]

و المؤكـــد من كلّ هذا أنّ الشّـــابي لا ينظر إلى الطبيعة إلاّ من خلال عالمه الداخلي، هذا العالم الذي يموج بالألم و الأسى، و مهما يكن من أمر فإنّ شعر الطبيعة عند الشّابي يدل على قوة الخيال و عمق التجارب، و التعاطف الذي كان يشعر به

[1] نسيب نشاوي "مدخل إلى دراسة المدارس الأدبية في الشعر العربي ص 285.

[2] الديوان ص 411.

[3] الديوان ص 285.

نحوها-الطبيعة- وفيها تتجلى قدرة الشاعر على التشخيص الذي يبث حرارة الحياة وخفوقها، و يتجلى هذا كله من خلال قصيدة "إرادة الحياة" حيث تتحوّل الطبيعة بما فيها من أراضي وغابات و ليالي إلى شخوص حية يجاذبها الشاعر أطراف الحديث و يسألها عن حقائق الوجود قائلا:

وَ قَالَتْ لِي الأَرْضُ لَمَا سَأَلَتْ أَيَا أُمُّ هَلْ تَكْرَهِينَ البَشَرْ؟

أَبَارِكُ فِي النَّاسِ أَهْلَ الطُّمُوحِ وَ مَنْ يَسْتَلِذُ رُكُوبَ الخَطَرْ

وَ أَلْعَنُ مَنْ لاَ يُمَاشِي الزَّمَانَ وَ يَقْنَعُ بالعَيْشِ،عَيْشَ الحَجَرْ[1]

و هكذا تصبح الطبيعة، بماهي أحد تجلّيات الكون الظاهر و الباطن الحياة التي تعين الاختلاف و التنوع و الانتظام الجمالي، الخارجي بصورة شاهدة فاعلة و منفعلة، فتصبح الحياة بماهي باطن الكون و الطبيعة.

المطلـــب الثـــالـــث:

3- الحب و المرأة:

أمّا إذا تركنا موضوع الطبيعة عند الشّـــابي و تطرقنا لونا آخر من موضوعات شعره، و هو الحب، فإننا نجد أبا القاسم الشّابي يصور و يرمّم معانيه في المرأة، و ألوان الطبيعة والنفس، و هو زهرة النّفس دائمة التفتّح التي تستنشق نسيم الروح كلها و أن الطبيعة بأسرها هيكل الحب الرحب، فقد كان يصّور معانيه و أحاسيسه في الطبيعة وذلك بتصرّفه في الألفاظ.

[1] الديوان ص 408.

كان الشّابي يناجي الحب قائلا:

كَبِّلِي يَا سَلاَسِلَ الحُبِّ أَفْكَارِي وَ أَحْلاَمَ قَلْبِي الضَّلِيلِ

كَبِّلِينِي بِكُلِّ مَا فِيكِ مِنْ عِطْرِ وَ سِعْرٍ مُقَدَّسٍ مَجْهُولٍ

كَبِّلِينِي فإنَّمَا يُصْبِحُ الفَنَّانُ حُرًّا فِي مِثْلِ هذه الكُبُولِ[1]

و على أيّة حال "مهما يكن في أمر فإن ديوان"أغاني الحياة" يصوّر لنا بطلا ذاتيا عاش تجربة عاطفية عميقة باءت بموت الحبيبة في ريعان شبابها، فطعن المحب طعنة قوية، مزقت وجدانه و أذابت قلبه حزنا على فراق فقيدته التي بكاها بكاءا مرا في قصيدته "مأتم الحب"

في الدِّبَاجِي

كَمْ أُنَاجِي

مَسْمَعَ القَبْرِ بغصّاتِ نَحِيبِي وَ شُجُونِي

كَمْ أصْغِي عَلَّنِي أَسْمَعُ ترْدِيدَ أَنِينِي

فَأرَى صَوْتِي فَرِيدُ

فَأُنَادِي

يَا فُؤَادِي

[1]عبد السلام المسدي، قراءات مع الشابي و المتنبّي و الجاحظ و ابن خلدون الشركة التوزيعية لتونس (د.ط) 1984، ص 18.

مَاتَ مَنْ تَهْوَى وَ هَذَا اللَّحْدُ قَدْ ضَمَّ الحَبِيب

فابك يَا قَلْبُ بِمَا فِيكَ مِنَ الحُزْنِ المُذِيبِ

أَبْكِ يَاقَلْبَ وَحِيد[1]

و رغم أنّنا لا نعرف، و قد لا نعرف أبدا، حقيقة هذه المرأة التي أحبّها الشّابي إلا أنّنا نكاد نجزم بأنّه أحب فتاة معنية، و أنّه شغف بهذا الحب إلى درجة العبادة و التقديس ولا يستطيع أحد قرأ القصائد: "جلوات في هيكل الحب"، "أراك تحت الغصون"، "الإيمان بالحياة"، "جدول الحب" أن يقول أنّه كان يتفق بالمرأة كجنس أو كمثل أعلى، فنحن حين نقرأ مثلا:

أَرَاكَ فَتَحْلُوا لَدَيَ الحَيَاةُ وَ يَمْلَأُ بِنَفْسِي صَبَاحُ الأَمَلْ

وَ تَنْمُو بِصَدْرِي وُرُودُ عَذَابُ وَ تَحْنُو عَلَى قَلْبِي المُشْتَعَلْ

و يَفْتِنُنِي فِيكَ فَيْضُ الحَيَاةِ وَذَاكَ الشّابُ الوديعِ الثّملْ[2]

أو حين يقول:

عَذْبَةُ أنْتِ كالطّفُولَةِ كالأحلام كاللّحْنِ كالصَّبَاحِ الجَديدِ

ثم يضيف:

كُلَمَّا أبْصَرَتْك عَيْنَايَ تَمْشِينَ بِخَطْوِ مُوَقَّعِ كَالنَّشِيدِ

[1] الديوان ص 87-88.

[2] الديوان، ص 315.

خَفَقَ القَلْبُ للحَيَاةِ وَرَفَّ الزّ هْرُ فِي حَقْلِ عُمْرِي المجْرُودِ[1]

فالمهم أنّنا "حين نقرأ هذا كلّه لا يمكن أن نشك لحظة في أن هذا الشعر قيل في امرأة معنية، كنا نجهل حقيقة هذه المرأة، المؤسف و المؤلم معا، أن هذه الفتاة أو المرأة التي شغف بها الشّابي قد ماتت قبل وفاته بستة سنوات تقريبا، فأحدث موتها في حياة الشّابي وفي آدبه انقلابا بعيد الأثر متعدد الجوانب و الصور[2].

و الملاحظ أن الحب يحتل مكانة ممتازة في شعـــر الشّابي و يبدو أنّه ذاق حرقة مبكرة، فكانت ثاني قصيدة كتبها الشّابي حب ما جاء في التّسلسل الزمني المثبّت في "الديوان" وفي "أغاني الحياة"، جاءت بعنوان "أيها الحـــب" و فيها قائمـــة بوظائف الحب بالنسبة لشاعر، خلاصتها أنّ الحب هو سر الوجود و إن الإنسان مهما شرب منه لا يرتوي حزنا و لا انشراحا فيقول في النهاية:

ليت شِعْرِي يا أيُّهَا الحبّ قل لي من ظلام خُلِقْتَ أم من ضِيَاءِ؟[3]

و يقول الشّابي:

الحبُّ جدوَلُ خَمْرٍ مَنْ تَذوّقه حَاضَ الجَحِيمَ وَ لَمْ يشف من الحرق

الحبُّ غَايَـــة آمَالَ الحَيـــاةِ فمـــا خوفِي إذَا ضمَّنِي قبرِي وَ مَا فَرْقِي؟[4]

و الواقع أنّ قصة الشّـــابي لم تعرف فصولها بعد، بل أن العنوان نفسه لا يزال مجهولا، و أحسب أن لن نستطيع كشف هذه الفصول و جمعها بما يتفق و الحقيقة

[1] الديوان، ص 305.

[2] أبو القاسم محمد كرو: حياة و شعر الشابي ص 115-116.

[3] الديوان ص 54.

[4] المصدر نفسه، ص 151.

التاريخية، و بما جرى فعلا في حياة الشاعر، إلا بعد الاطلاع على كافة تراث الفقيد الأدبي، و معرفة جوانب معنية من حياته الخاصة و إلى أن يتم ذلك سنظل مقتنعين كل الاقتناع بأنّ الشّابي أحب في حياته حبا صادقا حقيقيا، و بأنه أغرم بفتاة معنية غراما عنيفا مشبوها، و بأن تلك القصائد الغزلية الحسان المملؤة بالحرارة و الوجدان، ما هي إلاّ صدى صادق لذلك الحب، و تصوير دقيق لاحتراق الشاعر به و تمجيده له، و عكوفه عليه"[1]

المطلـــب الرابـــع:

4- الألم و الشكوى:

إحساس الشعراء يختلف من واحد لآخر فمنهم من هو سطحي الإحساس فشعره فاتر لا حرارة فيه لأنّه صادر عن تأمل لما يحسه و يدركه، و هناك من يتعمق فيما يدركه و يحسه من ذات نفسه أو يبصره و يشاهده في الكون تعمقا يصل إلى باطنه.

فأبو القاسم الّذي ودعنا في مقتبل عمره، بعد كفاح سرير بينه و بين مرض القلب[2].

أصيب في شبابه بتضخم فيه، فقد جعله هذا المرض مملوءا بالكآبة و ما ينتظره من موت عاجل محتوم و لم يجد أمامه سوى ناي شعره فأخذ يشدو عليه أغاني شجية نظمها و الدموع تنهمر من عينيه، و هي تعد أشجى أغانينا في العصر الحديث لأنّ صاحبها بللها بدموعه و هو يكتبها، "فجعلت شعره من ألفه إلى يائه مجموعة صرخات حادة[3] لا يمكن أن ينظمها تنظيم الهادئ المطمئن، و قد عبّر عم ألمه في أغنية "الأحزان":

---

[1] أبو القاسم محمد كرو: الشابي حياته و شعره ص 119.

[2] شوقي ضيف دراسات في الشعر العربي المعاصر ص 183.

[3] عبد اللّطيف ستارة، "شعراؤنا الشابي"، ص 43.

حَطَّمَتْ كَفَّ الأَسَى قيتَارَتِي

في يَدِ الأَحْلاَمْ

فَقَضَتْ صَمْتًا أَنَاشِيدَ الغَرَامْ

بَيْنَ أَزْهَارِ الخَرِيفِ الذَاوِيَة

وَ تَلاشَتْ في سُكُونِ الإكْتِئَابِ

كَصَدَى الغرِيدْ[1]

و من دون شك أننا نشعر عند سماعنا بهذه الأغنية بوخز الألم في صدر الشّابي فقد قيتارته، حطمتها كف الاسى في يد الأحلام و ذابت نغمات الغرام بدنياه في غمرة هذا التحطيم و المرض يطعنه في الصميم.

فالدنيا من حول الشاعر ليس فيها إلاّ أشباح الموت، و بصره يشاهد هذه الأشباح جاثمة على صدر كل شـــيء، في الشحارير و الأطفال و المعشوقـــات، فيستغيث ويستجير، و يأخذه الفزع من كل جانـــب و لم يكن هناك وقت يزدحم فيه الفزع كالليل، حيث ينهال عليه ألم المرض وخزا وطعنا، حيث يقول في شأن ذلك:

أيّها اللَّيلُ يَا أَبَا البُؤْسِ وَ الهَوْ لِ هَيْكَلَ الزَّمَانَ الرَّهِيبِ[2]

و المؤكد أنّ الشابي كان يخاف اللّيل و يهابه، لأنه مصدر الآلام و الأحزان فهو رمز البؤس و الهول و العذاب.

[1] الديوان ص 126.

[2] المصدر نفسه، ص 112.

و لم يقف إحساس الشّابي الدقيق بالألم عند نفسه، بل تعداه إلى أمته و شعبه وليس يسرا على شاعر كالشّابي وقاد الفكر، مثبوت الخيال، دقيق الحس و الشعور أن يرضى بحال مجتمعه أو يطمئن لأصناف الظلم التي يعانيها و الآلام التي يكابدها، فها هو يصرخ تحت و طأة الظلم:

فَيَا أَيُّهَا الظَّلاَمُ المصغَّر خذهُ رُوَيْدكَ أَنَّ الدَّهْرَ يَبْنِي و يَهْدُمُ

أَعزَّكَ أَنَّ الشَّعْبَ مُغْض عَلَى قَذَى ذَلِكَ الوَيْلُ مِنْ يوم الشَرِّ قَتْعَمُ[1]

كما أنّ الشابي لم يكن يلق خصومه بشيء من التسامح بل كان حاد الحس والشعور فتحول يقذفهم بالحجارة، يريد أن يدمي رؤوسهم، و لم يقف حينها عن طائفة معنية، بل دفعه غضبه الشديد في لحظة أن يعم الشعب كله دون استثناء.

أَيُّهَا الشّعبُ لَيْتَنِي كنْتُ حَطَّا بًا فأهْوي عَلَى الجُذُوعِ بفَأسِي

لَيْتِ لِي قُوَّةالعَوَاصِفِ يَا شَعْبِي فَأَلْقي إلَيْك ثَوْرَةَ نَفْسِي[2]

و مهما يكن فإنّه يمكن تفسير هذه الثورة العارمة على شعبه بأنّه كان يستقبل شعره استقبالا فاترا فصب غضبه و سخطه عليه و ربّما كانت ثورته خاصة موجهة إلى خصومه، ممن ينكرون عبقريته الشعرية، و يتسع بثورته إلى الشعب عامة، و مهما يكن من أمر فهي ثورة عابرة في أشعاره و لقد حاول الشابي الهروب إلى الطبيعة و الغاب، فلم ينفعه ذلك فقد أطل عليه الظلام و همومه، و عاوده بؤسه وشقاؤه يعبر عن ذلك قائلا

يا صميم الحَيَاةِ إنّي وَحِيدُ مُدْلِجُ تَائِهُ فأيْنَ شُروقك ؟

[1] المصدر السابق، ص 496.

[2] الديوان، ص 246.

يا صميم الحَيَاةِ إنّي فُؤَادُ ضَائِعُ ظَامِئُ،فأيْنَ رَحِيقُك؟[1]

و يبدو أنّ الشّابي هنا رثى نفسه و يبكي أمسه، لقد أصبح على شفا حفرة من الهاوية، و لقد خيّل له أنّه موشك إلى الحياة الأبدية، ذلك أنّه فقد الامل في البقاء، فأصبح لا يخاف و لا يجزع، إنّه يتحول إلى مصيره في هدوء:

و تَغشّى الضَّبَابُ نفسي فَصَاحَت في ملالِ مُرِّ إلى أيْنَ أمشِي؟

فَقُلْتُ سِيرِي مَعَ الحياةِ ... فَقَالتْ مَاجَنَيْنَا ترَى مِنَ السَّيْرِ أمْسِ[2]

ولهذا لم يعـــد يقلق الشابي لأن المرض أفقده شهوة الحياة و الإقبال المتحمس عليها، و أصبح كورقة ذابلة تتهيأ للسقوط و لذلك هو يستقبل الموت راضيا، و كأنّه يحس بالموت سيعتقه من أحزانه و يـــفرج عن كروبه و مآسيه، تسكـــن حينها جراحـــه، وتجف دموعه، و بدت تباشير الصباح لتطرد ما كان يجوب ليله و نهاره من الظلمات، فتغنى فرحا سعيدا:

الوَدَاعَ ! الوَدَاعَ يَا جِبَالَ الهُمُـــوم

يا ضَبَابَ الأَسَى يا فُجَاجَ الجَحِيمْ[3]

و هكذا ظل المرض يمتص رحيقه كالزهرة و هي لا تزال في برعومها و لم يكتمل تفتحها و لم يتم شذاها و عطرها و لكن ... قطفت قبل الأوان (أي مات و هو في ريعان شبابه).

[1] المصدر نفسه ص 281.

[2] المصدر نفسه ص 351.

[3] الديوان، ص 395.

الخـــاتمـــــــة

يعد " أبو القاسم الشّابي " فلتة من فلتات عصرنا الحديث في حدة الإحساس وعمقه و دقته، فحدة هذا الإحساس جعلته محبا للحياة ومنصبا عليها.

فبعد هذا الطواف الشاق، يجمع الدارس أنفاسه و يستريح، ليعدد نتائج الجولة ويصف قيمها و جديدها فمن خلال هذه الرحلة الممتـــعة التي قضيناهـــا في رحـــاب "أبو القاسم الشابي و تجربته" توصلنا إلى النتائج التالية:

1- من خلال استقراء ترجمة الشاعر تبين لنا أن حياته مليئة بالمعاناة و الآلام، و في الوقت ذاته غنية بالتجربة الأدبية و أن أشعاره هي صورة معبرة عن ذلك الواقع.

2- ارتبطت تجارب الشاعر بالواقع التونسي خاصة و العربي عامة فهي تجارب صادقة لأنها نابعة من إحساسه الذاتي في نضاله ضد المستعمر.

3- نقل الشاعر من خلال أشعاره الوطنية هموم شعبه و الأمة العربية فقد كان شاعرا وطنيا يحس بالالتزام الوطني كما عبرت أشعاره عن طموح الأمة العربية بالتحرر والوحدة و رفض قيود الإستعمار.

قائمـــة المصـــادر و المـــراجـــع

1- أحمد أبو حاقة "الالتزام في الشعر العربي"، دار الملايين، بيروت، ط2، 1971.

2- أبو القاسم الشّابي،"الخيال الشعري عند العرب"، الدار التونسية للنشر، تونس، ط2، 1983.

3- أبو القاسم محمد كرو "الشّابي حياته و شعره"، منشورات دار المكتبة الحياة، بيروت، لبنان، ط3، 1960.

4- خليفة محمد التليسي "الشّابي و جبران"، دار العودة، بيروت، ط2، 1967.

5- ديوان أبي القاسم، "أغاني الحياة"، دار بيروت، لبنان.

6- ديوان أبي القاسم، دار العودة، بيروت 1972، لبنان.

7- ديوان الشّابي، تحقيق عز الدين إسماعيل، دار العودة، بيروت، 1972.

8- ريتا عوض، "أعلام الشعر العربي الحديث"، مطبعة الدّيوان، د ط، د ت.

9- شوقي ضيف، "دراسات في الشعر العربي المعاصر"، دار المعارف، مصر، ط7، ب ت.

10- عبد السلام المسدي "قراءات مع الشّابي و المتنبي و الجاحظ و ابن خلدون"، الشركة التونسية للتوزيع، تونس، ب ط، 1984.

11- عبد اللّطيف شرارة "شعراؤنا""الشّابي"، دار صادر للطباعة و النشر، بيروت، ب ط، 1965.

12- عبد المجيد حر، كوكب السحر، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

13- مجلة الفكر، "عدد خاص بخمسينية الشابي"، الشركة التونسية لفنون الرسم، تونس، عدد خاص 30 نوفمبر 1984.

14- محمد زكي العشماوي "الأدب و قيم الحياة المعاصرة"، دار النهضة العربية، بيروت، د ط، 1980.

15- محمد سعد فشوان "مدرسة أبولو الشعرية في ضوء النقد الحديث" دار المعارف، مصر، ب ت.

16- محمد مصايف "النقد الأدبي الحديث في المغرب العربي"، المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر ط2، 1984.

17- محمد غنيمي هلال "النقد الأدبي الحديث"، دار العودة بيروت، ط1.

18- نسيب النشاوي "مدخل إلى دراسة المدارس الأدبية في الشعر العربي المعاصر"، ديوان، المطبوعات الجامعية، الجزائر ب ط، 1989.

الفـــهـــرس

مقدمة.....**أ،ب**

مدخل..... **01**

الفصل الأول: التجربة الشعرية..... **05**

المطلب الأول: مفهوم التجربة الشعرية..... **05**

المطلب الثاني: التجربة الشعرية عند الشابي..... **07**

المطلب الثالث: مفهوم الشعر عند الشابي..... **11**

المطلب الرابع: موقفه من التراث القديم و دعوته للتجديد..... **13**

االفصل الثاني: العوامل الأساسية في تكوين تجربة الشابي الشعرية..... **17**

المطلب الأول: تأثير مدرسة المهجر في أدب الشابي **17**

المطلب الثاني: تأثره بمدرسة الدّيوان **20**

المطلب الثالث: قراءته للأدب الغربي من خلال الترجمات **23**

الفصل الثالث: موضوعات التجربة الشعرية عند الشابي **25**

المطلب الأول: الوطن **25**

المطلب الثاني: الطبيعة **29**

المطلب الثالث: الحب و المرأة..... **31**

المطلب الرابع: الشكوى و الألم..... **35**

خاتمة..... **39**

قائمة المصادر و المراجع..... **40**

أبو القاسم ألشابي بعتبر من شعراء العصر الحديث ، ولد في 24 مارس 1999 بجنوب تونس كانت له روح وطنية نشأ في بيئة لعبت دورا هاما في حياته الأدبية أكبر مأساة عاشها ألشابي إصابته بتضخم القلب و الألم و أتعاب المسؤولية بعد وفاة والده ، كما خلف ورائه أثار أدبية أغاني الحياة ، الخيال الشعري عند العرب ، مذكرة ألشابي ، رسائل ألشابي

أهم العوامل الأساسية التي كونت تجربته : تأثره بأدباء المهجر و مدرسة الديوان و قراءاته بالأدب العربي من خلال الترجمات ، كان شاعرا وطنيا يحس بالالتزام الوطني نجد أيضا من موضوعاته الألم و الشكوى التي تنحصر في مرضه فجعل من شعره مجموعة صرخات حادة حتى وصل إلى رثاء نفسه . أبو القاسم ألشابي يمثل همزة وصل بين الثقافات العربية من مشرقها إلى مغربها .

Aboul – qacem echebbi is considered to be one of the greatest poets in the modern era he was born on 24 march 1909 in zarat in the wilaya of tazeur in south of tunisia .he w

He used to have high nationalistic soul . he was brought up in a milieur and an environment whitch played an important role in his literary life .

The greatest tragedy echebbi lived was his illness dus heart hypertrophy which caused him a lot of pain and the hardsghip of responsibility after his father ‘s death until he died on 9 october 1934 at the age of tuenty –five and rearly seven monthe .

He left behind him several literary works such as :

A ghani – al hayat (the songs (canticles) of the life) al shiri ind al arab (the poetik imagination in the arabs , rasaael echebbi echebbi (echebbi ‘ (echebbi s letter) mudakirat al –shabi (echebbi s’memoirs)

The most fundamental factors which trained his experience avere : his being influenced by that enigrant menof letters (hdaba al – mahdjer) the diwan school (madrassat al diwan)

And his great reading onf the westem literature through translation

He used to be a nationalistic poet who felt the national commitlment . the readers and searchers can also find among the topics he topics he deats with ‘ his pain ‘ complaint which are limited to his disease that has made form his poetry a collection of violent cries to the extent that extent that he elegized himself .

Qacem echabbi represents a transition between the (arabic) cultures from the east to the west .

Abou el kacem chabbi est considée un des grand poétes de la période moderne . il est né le 24 mars 1909 à zarat dans la wilaya de fozeur au sud de la tunisie .

il y avait une grande ame nationalitique .il était éleve et éduque dans un mileu et environnement qui ont joué un role important dans sa vie littéraire .

la grande tragédie qui vécu était sa maladie de l’hypertrophie du cœur qui lui a causé beaucoup de douleur et les peines de la responsabilité parés la mort de son pére jusqu’à sa mort le 09/octobre1934 à làge de 25 ans et presque 9 mois .

il a laissé derriére lui plusieurs ouvrager litérairescomme : aghaini al-hayat (les chants de la vie) al khayal al-chicri ind al-arab (l’imagination poétique chez les arabes moudakiret chebbi (les mémoires de chebbi) et rasciel chebbi (les lettres de chebbi) .

les facteurs les plu importants qui ont formé son expérience étaient :

l’influence des hommes de lettres émigrants (oudaba al-mahdjer) et l’ecole diwan (madrassat addiwan) et sa grande lecture de la l’occident ‘à travers les traductions.

Il était un poéte nationaliste qui sentait l’engagement nationale .les lecteure et les chercheurs peuvent aussi trouver parmi les sujets qui ont été lui la douleur ‘ et la plainte limitées à sa maladie qui a mis de sa poésie une collection de cris violents à tel point qu’il a composé une élergie pour lui-même abou et kacam chabbi représente une transition entre les cultures arabes de l’est à l’ouest .